June 29, 2022 [Vol. 33(2)]
P-ISSN: 1680-8738; E-ISSN: 2663-547X

مجلة كلية التربية للبنات
مجلة فصلية علمية محكمة للعلوم الانسانية والاجتماعية تصدرها كلية التربية للبنات-
جامعة بغداد-العراق
Journal of the College of Education for Women (JCEW)
A Refereed Scientific Quarterly Journal for Human and Social Sciences Issued by the College of Education for Women-University of Baghdad-IRAQ

Received: February 17, 2022
تاريخ الإستلام: ٢٠٢٢/٢/١٧
Accepted: May 9, 2022
تاريخ القبول: ٢٠٢٢/٥/٩
Published: June 29, 2022
تاريخ النشر الألكتروني: ٢٠٢٢/٦/٢٩
DOI: https://doi.org/10.36231/coedw.v33i2.1600

# مدرسة شيكاغو في علم الاجتماع الحضري: مقاربة اجتماعية- تاريخية في تأثير الفكر البراغماتي كإطار نظري مرجعي فيها، ١٨٩٢- ٢٠٢٠

**ماهر عبدالواحد عزيز**
قسم الخدمة الاجتماعية - كلية الآداب- جامعة صلاح الدين- أربيل
**mahir.aziz@su.edu.krd**

**المستخلص**

حلّلت هذه الدراسة النظرية تحليلاً وتقييماً اجتماعيا-تاريخياً لتراث مدرسة شيكاغو في علم الاجتماع الحضري على ضوء نمو وتطور مدينة شيكاغو وتأسيس علم الاجتماع فيها. أصبح علم الاجتماع تخصصاً أكاديمياً معترفاً به في الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر القرن التاسع عشر، تحديداً، بعد أن تم تأسيس أول قسم لعلم الاجتماع في جامعة شيكاغو عام ١٨٩٢، وكان ذلك خلال فترة التصنيع السريع والنمو المستدام لمدينة شيكاغو. اعتمدت مدرسة شيكاغو على مدينة شيكاغو تحديدا، وهي واحدة من المدن الأمريكية التي نمت وتوسعت بسرعة فائقة في العقدين الأولين من القرن العشرين. شهدت المدينة في نهاية القرن التاسع عشر وصول أعداد كبيرة من المهاجرين من أوروبا ومن الجنوب الأمريكي. تهدف الدراسة الحالية إلى البحث في تراث مدرسة شيكاغو من خلال التعمق في أصل ونشأة وتطور مدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع الحضري، ثم تسليط الضوء على بروزها وهيمنتها على الصرح الأكاديمي الأمريكي في العقدين الأولين من القرن العشرين، وأوضحت الدراسة دور الفكر البراغماتي في نمو هذه المدرسة وتطورها إلى صرح علمي بارز بين مجمل الجامعات الأمريكية. لقد استمر العصر الذهبي لهذه المدرسة وإبداع روادها من الأساتذة حتى منتصف الأربعينيات. شرحت الدراسة مسببات أفولها وانحدارها بعد منتصف الأربعينيات من القرن الماضي. ومن ثم حاولت أن تقيّم واقع هذه المدرسة بعد الأربعينيات ولغاية العقدين الأولين من الألفية الحالية. توصلت الدراسة إلى أنه على الرغم من أن كثيرا من تقاليد علم الاجتماع الحضري في مدرسة شيكاغو والحقول الفرعية التي ترسخت فيها، كانت ولا تزال مهمة، وستظل تشكل مركزاً لهذا التخصص، إلا أن هذا لا يعني وجوب تطبيق مناهج وأساليب الدراسات التي أجريت تحت راية مدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع الحضري لمدن اليوم، وذلك لعدم ملاءمتها لواقع الحياة الحضرية للمدن الصناعية اليوم، بسبب التحولات الجذرية على جميع الأصعدة، الاقتصادية منها والاجتماعية والسياسية والثقافية، فضلا عن تقنيات الاتصال الحديثة التي غيرت وجه العالم من خلال ما يسمى اليوم بالعولمة.

***الكلمات المفتاحية***: التفاعلية الرمزية، علم الاجتماع الحضري، الفكر البراغماتي، مدرسة شيكاغو، مدينة شيكاغو

# The Chicago School in Urban Sociology: A Socio-Historical Approach on the Pragmatic Thought Influence as a Theoretical Frame of Reference in it-1892-2020

**Mahir Abdulwahid Aziz**
Department of Social Work-College of Arts-Salahaddin University- Arbil
**mahir.aziz@su.edu.krd**

## Abstract

The present theoretical study analyzes the legacy of the Chicago School of Urban Sociology and evaluates it in the light of the growth and development of Chicago City and the establishment of sociology in it. Sociology has become an academic discipline recognized in the United States of America in the late nineteenth century, particularly, after the establishment of the first department of sociology in the University of Chicago in 1892. That was during the period of the rapid industrialization and sustainable growth of the Chicago City. The Chicago School relied on Chicago City in particular, as one of the American cities that grew and expanded rapidly in the first two decades of the twentieth century. At the end of the nineteenth century, the city witnessed the arrival of large numbers of immigrants from Europe and South America. Accordingly, this study aims to examine the heritage of the Chicago School in depth, focusing on its origin, genesis, and development of the Chicago School of Urban Sociology. It also sheds light on its emergence and dominance over the American academic edifice in the first two decades of the twentieth century. The study further aims to investigate the role of the pragmatic thought in the growth and development of this school as a prominent scientific edifice among all American universities. The golden age of this school and the creativity of its pioneers of the scholars continued until the mid-forties. Thus, the study is to explain the causes of its decline after the mid-forties of the last century.

June 29, 2022 [Vol. 33(2)]
P-ISSN: 1680-8738; E-ISSN: 2663-547X

Then, it evaluates the reality of this school after the forties until the first two decades of the current millennium. The study has concluded that although much of the urban sociology tradition in the Chicago School and its deeply rooted sub-fields was and remains important, constituting a centre to this discipline, this does not mean that the styles and methods of studies conducted under the Chicago School umbrella should be applied to the urban life of today's cities. This is due to their inadequacy with the reality of urban life in industrial cities today. That is in return is because of the radical transformations at all levels, including economic, social, political and cultural, as well as the modern communication technologies that have changed the face of the world through what is called today globalization.

***Keywords:*** Chicago city, Chicago school, Pragmatic thought, Symbolic interactionism, Urban sociology

## ١- المقدمة

تعد هذه الدراسة من الدراسات النظرية التحليلية في مجال سوسيولوجيا تأريخ العلم، وتحديدا علم الاجتماع الحضري أو كما يفضل بعضهم أن يطلق عليه سوسيولوجيا المدينة، مركزا فيه على مدرسة شيكاغو، لذلك تمثل الدراسة مقاربة اجتماعية- تاريخية لواقع مدرسة شيكاغو منذ نشوئها في أواخر القرن التاسع عشر ولغاية أفولها وانحدارها أكاديمياً، فيما بعد الأربعينيات من القرن الماضي. لذلك تنطلق الدراسة من الفكرة التي تقول: إن مفهوم معاصرة المعرفة لا ينحصر في البعد الزمني فقط، بل يشمل استمرارا لصلاحية القديم في فهم الحاضر وتفسيره. لذلك تحاجج الدراسة بأنه من الصعب تحقيق تقدم مستدام في العلوم والدراسات والأبحاث من دون معرفة شاملة بالتجارب السابقة، واستعمال تلك الخبرات والتجارب. برزت مشكلة الدراسة هذه، بسبب اهتمام الباحث بموضوعها، من خلال مراجعته للدراسات السابقة التي كتبت أغلبها باللغة الانجليزية والقليلة جداً منها باللغة العربية، مما ولّد لدى الباحث حب الاستطلاع والبحث في غمار تراث هذه المدرسة. تكمن مشكلة الدراسة في توضيح نشوء مدرسة شيكاغو والمنهجية التي اتبعها روادها الأوائل في دراساتهم ونمط التحولات المنهجية التي طرأت على فكر وواقع مدرسة شيكاغو، منذ نشوئها ولغاية أفولها وانحدارها في نهاية أربعينيات القرن الماضي، وتعرج على أهم الدراسات التي نشرها الرواد الأوائل، ثم تحلل وتقيّم واقع حالها لغاية العقدين الأخيرين من ألفيتنا الحالية. أما عن أهمية الدراسة، فتستمد من طبيعة الموضوع الذي تحاول الدراسة أن تلقي الضوء عليه، وهو تراث هذه المدرسة، متمثلة بالمقاربة الاجتماعية- التاريخية للمتغيرات التي طرأت على فكر روادها ونمط الدراسات التي أُنجزت في مجال علم الاجتماع الحضري.

وبناء عليه، تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- عرض تراث مدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع ومناقشته من منظور اجتماعي- تاريخي.
٢- مناقشة نشوء وصعود مدرسة شيكاغو كصرح أكاديمي في الولايات المتحدة الأمريكية.
٣- عرض ومناقشة دور الفكر البرغماتي في نمو وتطور مدرسة شيكاغو كإطار مرجعي فيها.
٤- معرفة مسببات أفول هذه المدرسة وانحدارها أكاديميا، بعد أربعينيات القرن الماضي.
٥- مناقشة واقع حال المدرسة فيما بعد منتصف القرن الماضي ولغاية العقدين الأخيرين من هذه الألفية.

وبذلك تنطلق الدراسة بجملة من التساؤلات التي تحاول الإجابة عليها وفقاً لمشكلة الدراسة وأهدافها وهي:

١- لماذا وكيف نشأت جامعة شيكاغو وكيف تأسس قسم الاجتماع؟
٢- إلى أي مدى أثرت الفلسفة البراغماتية في نهج وتوجهات وأهداف رواد هذه المدرسة والأساتذة الذين تلوهم؟
٣- هل فعلا حَوّلَ رواد هذه المدرسة علم الاجتماع من علم تأملي نظري إلى علم ميداني واقعي وكيف؟
٤- ما هو سر نجاح وصعود مدرسة شيكاغو لتتربع الصرح العلمي والأكاديمي في العقدين الاولين من القرن العشرين؟
٥- ما هي مآخذ وعيوب هذه المدرسة، وهل ينبغي عدم الاكتراث بمدرسة شيكاغو بعد قرن وعقدين من الزمن من عمرها، ولماذا؟

منهجياً، تعتمد هذه الدراسة على المنهج التاريخي الذي يقوم على فكرة صعوبة فهم واستيعاب حاضر الشيء من دون دراسة ماضيه، وذلك لأن الحاضر نتاج الماضي. وإذا كان التأريخ سلسلة متصلة من الحلقات، تتلاحق فيها النتائج بالمقدمات، ويربط فيها الماضي بالحاضر وبالمستقبل، فالظاهرة الحضرية كالظاهرة التاريخية زمانية في أغلب الأحوال، أي إنها ترتبط ارتباطا وثيقاً بوقائع المجتمع الماضية (حسن، ١٩٨٢). تعدّ هذه الدراسة من الدراسات السوسيولوجية التحليلية لتاريخ العلم وتقييم هذا التاريخ التي تلتزم جمع الحقائق، ثم تحليلها وتفسيرها تفسيراً علمياً معتمداً على منهج التحليل الاستقرائي. ويعتمد منهج التحليل الاستقرائي الذي تتبناه هذه الدراسة على دراسة واقع حال مدرسة شيكاغو. لذا فقد وفَرَ لنا هذا المنهج رؤية أساسية للوقائع والأحداث عبر طابعها التراكمي. بحيث تعرفنا على وقائع الجوانب المختلفة في مدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع الحضري.

## ٢- الإطار النظري

### *٢-١ محاججة الدراسة*

لقد تطور علم الاجتماع في سياق تغيير اجتماعي دراماتيكي واسع الانتشار من خلال المناقشات حول فكرة التقدم الذي تم تشكيله لدى الرواد الأوائل. علم الاجتماع

June 29, 2022 [Vol. 33(2)]
P-ISSN: 1680-8738; E-ISSN: 2663-547X

الحضري هو الدراسة الاجتماعية للحياة والتفاعل الإنساني بين الناس في المدينة. أي إنه يسعى إلى دراسة البناء الاجتماعي للوسط الحضري، والتغيرات والمشاكل التي يشهدها هذا الوسط الحضري في فضاء المدينة. كان قسم علم الاجتماع في العقدين الأولين من القرن العشرين في جامعة شيكاغو من أفضل الأقسام ليس في الولايات المتحدة الأمريكية فحسب، بل في العالم أيضاً. تحاجج هذه الدراسة بأن أسباب أفول مدرسة شيكاغو وانحدارها في علم الاجتماع عامة والحضري خاصة، يرجع لعدة عوامل منها: رحيل رائدها الكاريزمي روبرت عزرا بارك (١٨٦٤ - ١٩٤٤)، حين تم إحالته إلى التقاعد بسبب بلوغه سن التقاعد في أوائل الثلاثينيات، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن وفاة جورج هربرت ميد (١٨٦٣-١٩٣١)، في عام ١٩٣١ كان له وقعا سلبيا علي تبلور التفاعلية الرمزية (Ritzer & Goodman, 2004). كان لجورج هربرت ميد تأثيراً كبيراً في العلوم الاجتماعيةعامة وعلم الاجتماع خاصة، وعلى طلبة قسم علم الاجتماع الذين كانوا يحضرون محاضراته في قسم الفلسفة، ظهر هذا التأثير من خلال اختباراته لعمليات التفاعل الرمزي ونشأة الذات الاجتماعية.َطّوَر ميد فلسفته في حوار مع تأثيرات فريدة من العلوم التجريبية والفلسفة النقدية والإصلاحات الاجتماعية التقدمية التي شارك فيها بقوة خلال حياته المهنية الحافلة بالأحداث. وعلى الرغم من أن أفكاره كانت معروفة لزملائه الاساتذة والطلبة في جامعة شيكاغو في أوائل القرن العشرين، إلا أن تأثيره اللاحق كان من خلال مجلدات جُمعت من مصادر متباينة ونُشرت بعد وفاته. إن معظم من ساهموا في هذا المسار الموصوف، غادروا جامعة شيكاغو أمثال وليم إسحاق توماس المختص في علم النفس الاجتماعي (١٨٦٣-١٩٤٧)، وتلميذه نيلس أندرسن (١٨٨٩-١٩٨٦) وفريدرك تراشر (١٨٩٢-١٩٦٢) الذي كتب أطروحته للدكتوراه عن العصابات الإجرامية في شيكاغو تحت إشراف روبرت بارك وانتقل إلى جامعة نيويورك ستي في الثلاثينيات، وهارفي وارن زوربا (١٨٩٦-١٩٦٥) وبول كريسي (١٩٠١-١٩٥٥). فضلاً عن ما جاء في أعلاه، فإن ازدياد الشكوك حول المكانة العلمية لهذا الحقل (علم الاجتماع) من الدراسة، وتغير التصورات حول دور عالم الاجتماع ومهماته، فضلا عن ظهور أقسام أخرى لعلم الاجتماع في جامعات أمريكية أخرى مثل هارفارد وكولومبيا ويَل، كل هذه الأحداث كانت هي العوامل الرئيسة التي أدت إلى أفول وانحدار هذا القسم في شيكاغو وتحديدا بعد أربعينيات القرن العشرين. تحاول الدراسة أن توضح دور الفكر البرغماتي في نمو مدرسة شيكاغو وتطورها كصرح علمي. ينبغي الإشارة إلى أن علم الاجتماع في شيكاغو كان إصلاحياً في التوجه، لم يعتمد على التنظير السوسيولوجي، وإثنوكرافياً في التطبيق (Savage, Warde and Ward, 2003).

### ٢ـ٢ تفسير المدينة في فكر الرواد الأوائل لعلم الاجتماع

يقول عالم الاجتماع الأمريكي اليساري الذي كان يدرّس في جامعة كولومبيا في أواسط خمسينيات القرن الماضي جارلس رايت ميلز، والمعروف بـسي رايت ميلز (١٩١٦-١٩٦٢):"لا يمكن فهم حياة الفرد ولا تاريخ المجتمع من دون فهم كليهما" (Mills, 1959, p. 161). وفي هذا الصدد، قال Giddens (1971): مَرَّت المدن خلال تأريخها الطويل بتحولات وتطورات كثيرة، فرضتها وظائفها وأدوارها في تنظيم المجتمع وتطوره، و تثبيت مقوماته وعلاقاته، ومن خلال هذه الأدوار أصبحت ذات وظائف متخصصة. وأحياناً برزت استجابة لضرورات ومقتضيات السكان وأوضاع الفترات التاريخية التي شهدتها. يقول إميل دوركهايم (١٨٥٨-١٩١٧)، التاريخ لا يمكنه أن يكون علماً، إلاّ إذا قام بالتفسير، ولا يمكن للتاريخ أن يُفَسِّر، إلا عندما يقوم بالمقارنة، وعندما يقوم التاريخ بعملية المقارنة فان التمييز بينه وبين السوسيولوجيا ينعدم. إذاً هذه دعوة صريحة إلي ذوبان التاريخ في إطار علم الاجتماع. الحقيقة التي ينبغي أن تؤكد هنا أنه لا يمكن مناقشة موضوعة مدرسة شيكاغو ودراسة المدينة والتحضر من دون ذكر دور الرواد المؤسسين لعلم الاجتماع. إن كل رائد من الروّاد الأوائل لعلم الاجتماع أمثال عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركهايم، (١٨٥٨-١٩١٧)، والعلماء الألمان أمثال ماكس فيبر (١٨٦٤- ١٩٢٠)، جورج زيمل (١٨٥٨-١٩١٨)، وكارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣)، اهتم كلٌ منهم بظاهرة المدينة وحاول تناولها انطلاقاً من وجهة نظره الخاصة،ولاسيّما بعد المشاكل الناجمة عن الثورة الحضرية التي عرفتها أوروبا في المنتصف الثاني من القرن التاسع عشر.

بشكل عام يمكننا القول بأن هناك ثلاثة مناهج نظرية درست وشرحت المدينة وهي:

**أولاً:** آراء إميل دوركهايم، الذي عاش وشاهد التحولات الحضرية التي شهدتها المدن الأوربية في فرنسا وألمانيا. كما يتضح من خلال كتاباته كلها، كان دوركهايم متشبّعاً كمعظم فلاسفة ومفكري عصره بفكرة "التقدّم" خصوصاً في كتابه المشهور "تقسيم العمل الاجتماعي". في هذا الكتاب، ركّز دوركهايم على مسألة كيفية احتلال الإنسان للمجال وتغييره وسيرورة خلقه للمدينة، وذلك من خلال تقديمه للنموذج الثنائي وسعيه لتفسير عملية الانتقال من مجتمعات تتسم بالتضامن الآلي أو الميكانيكي إلى مجتمعات تتسم بالتضامن العضوي. يشرح دوركهايم المدينة و يصفها بالمستوى المتقدم من تقسيم العمل والتضامن بين الأفراد وأدوارهم التي تتحدد وفقاً لوظائفهم. إن الحياة الحضرية في المدينة عند دوركهايم تقوم على التضامن العضوي وفقاً لمبدأ تقسيم العمل (Giddens, 1971, p. 76).

**ثانياً:** آراء عالمي الاجتماع الألمانيين ماكس فيبر وجورج زيمل. كتب فيبر مقالته المشهورة عن المدينة التي

June 29, 2022 [Vol. 33(2)]
P-ISSN: 1680-8738; E-ISSN: 2663-547X

نشرت في عام ١٩٢١، أي بعد وفاته بعام واحد. إذ تعامل مع المدينة من منظور تأريخي وفي إطار انهيار السلطة التقليدية، وظهور ما سماه بالسلطة البيروقراطية العقلانية أو الرشيدة، والتي عدّها موضوعًا مشابهًا للتحول من الإقطاع إلى الرأسمالية، مع التركيز على الاقتصاد والتنظيم السياسي والعقلاني في وضع تصور للمدينة، كما أنه أكدّ على التجارة كنشاط اقتصادي والسياسة كخاصية مميزة للمدينة. وكذلك كان لآراء عالم الاجتماع الألماني الآخر جورج زيمل دور كبير إذ قدم دراسة معمقة للحياة داخل المدينة في دراسته المشهورة "المتروبول والحياة العقلية" والتي نشرت عام ١٩٠٣. يصف زيمل المدينة بأنها النظام الذي يغيّر نمط العلاقات من العلاقات القائمة على التكافل والتضامن إلى العلاقات القائمة على المصلحة والفردانية. ولقد تتلمذ كثير من رواد مدرسة شيكاغو على يده، منهم ألبيون سول وروبرت عزرا بارك الذي كان يحضر محاضراته في جامعة برلين في أواخر القرن التاسع عشر (Ritzer & Goodman, 2004, p. 34).

**ثالثاً:** آراء كارل ماركس حول المدينة، إن المدينة في رأيه هي ساحة للتقسيم الطبقي والنضال من أجل تحقيق العدالة فيها. ويؤكد ماركس بأن المدينة لها دور حاسم في نمو الرأسمالية وتطورها. وكان فريدريك إنجلز على غرار ماركس يعدّ المدينة مؤشرا على بنية الطبقة الرأسمالية وعلاقتها. فقد قدم تقريرا مفصلا عن الأحوال المعيشية للطبقة العاملة في مدينة مانجستر بإنكلترا، وعبّر في الوقت نفسه عن استيائه من الظروف التي كانت تعيشها الطبقة العاملة البريطانية، وفي الوقت نفسه أبدى إنجلز إعجابه بمدينة لندن، إذ وصفها ب "عظمة إنكلترا" (Ritzer & Goodman, 2004, p. 27). على الرغم من الاهتمام الواسع الذي أعطاه الرواد الأوائل لعلم الاجتماع في أوروبا للمدينة والحياة الحضرية، إلا أن ما قدموه من كتابات وأفكار كانت تفتقر إلى الوحدة النظرية والتجربة الميدانية التي ستتبناها مدرسة شيكاغو لاحقا.

### ٢-٣ *نبذة تاريخية عن أمريكا في أواخر القرن التاسع عشر والعقدين الأولين من القرن العشرين*

يذكر المؤرخ الأمريكي موري كلاين في كتابه (نشأة أمريكا الصناعية: ١٨٧٠- ١٩٢٩)، أنه:

> في القرن التاسع عشر تحديداً، مرّت الولايات المتحدة الأمريكية بتحول كبير وملحوظ من اقتصاد قائم على إنتاج المواد الخام و زراعة الكفاف، إلى اقتصاد السوق المتوسع في هذا التحول، إذ تم استبدال الإنتاج الحِرفي بإنتاج المصنع، وحلت السكك الحديدية محل نظام النقل السيئ القائم على الأنهار والطرق الموسمية، وبدأت الحياة الريفية بالزوال، وبدأت المدن تكتظ بالسكان المهاجرين، وبذلك شهد تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تغيراً غير مسبوق (Klein, 2007, p. xi).

والسؤال المهم الذي يطرح هنا: كيف حدث ذلك؟ ما هو السر الذي يفسّر النجاح الاقتصادي الأمريكي في هذه الفترة؟ هذه الأسئلة لها قيمة جوهرية في فهم التاريخ الأمريكي الحديث. يؤكد موري كلاين بأن أسباب هذه التغيرات أنّ:

> الولايات المتحدة تنعم بشكل فريد بوفرة من الموارد الطبيعة، ووفرة عقلية متنامية في الاجتهاد العلمي والابتكار الصناعي، فضلاً عن وجود النظام السياسي والقانوني المنفتح والذي شجع النمو الاقتصادي. لاحظ موري كلاين أن الابتكار الصناعي والتقني سببان مهمان في حصول التطور في مجالات عدة منها: مصادر الطاقة، النقل، والاتصال والتي تناغمت مع الثورة في التنظيم وخصوصاً تنظيم الأعمال والصناعة والتجارة والتي تمثل فجر الأعمال التجارية الكبيرة الحديثة (Klein, 2007, p. xi).

أشار كلاين إلى أربع ثورات رئيسة آذنت ببدء هذا العصر الجديد: كانت تلك الثورات في مجالات السلطة، النقل، الاتصالات والتنظيم. كل هذه الثورات أدت إلى نشوء المدن وتوسعها. كما أنه يحدد العملية التي أرست دعائم العصر الحديث، إذ أصبح كل نشاط بشري تقريبًا عملاً تجاريا، وفي معظم الحالات، نشاطًا تجاريًا كبيرًا. دفعت الطفرة الصناعية في أواخر القرن التاسع عشر الأمريكيين والمهاجرين من جميع أنحاء العالم إلى ترك الحياة الزراعية والتوجه إلى المدينة المدفوعة إلى حد كبير بالتصنيع. انتقل الأمريكيون بشكل متزايد إلى المدن في أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين، إذ هاجر أحد عشر مليون شخص من المناطق الريفية إلى المناطق والأقاليم الحضرية بين عامي ١٨٧٠ و ١٩٢٠، و الخمسة والعشرون مليون مهاجر الذين قدموا إلى الولايات المتحدة في نفس هذه السنوات انتقلوا إلى المدن الكبيرة. وكان عدد الأمريكيين الذين يعيشون في المدن أكبر بكثير من عددهم في المناطق الريفية في عام ١٩٢٠ لأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة. وأصبحت مدينة شيكاغو من كبريات المدن الأمريكية التي شهدت كل هذه الثورات التنظيمية والتقنية والإدارية والصناعية (Klein, 2007, p. Xii).

### ٢-٤ *زيادة السكان، النمو العمراني والتوسع الحضري في مدينة شيكاغو*

قبل الولوج في تأريخ مدينة شيكاغو وما شهدته من زيادة كبيرة في السكان بسبب الهجرة، ونمو عمراني وتوسع حضري، وتأسيس علم الاجتماع في جامعتها، لابد أن نعرج على مدينة شيكاغو الحالية، التي تُعد ثالث أكبر مدينة في الولايات المتحدة الأمريكية سكاناً، بعد مدينتي نيويورك ولوس أنجلوس. تقع مدينة شيكاغو في ولاية إلينوي التي تقع في وسط غرب الولايات المتحدة الأمريكية التي تتكون حاليا

June 29, 2022 [Vol. 33(2)]
P-ISSN: 1680-8738; E-ISSN: 2663-547X

من خمسين ولاية فدرالية، وتعد إلينوي خامس أكبر ولاية من حيث عدد السكان والخامسة والعشرين من حيث المساحة، وعاصمتها سبرينكفيلد. تُعد مدينة شيكاغو الآن من أكبر المدن التجارية في إلينوي، فهي معروفة بأنها المدينة التي توفر الفرص، وذات الثقافات المتعددة وتقع على شاطئ بحيرة ميشيغان الهائلة والتي تعد واحدة من أكبر خمس بحيرات. وبحسب إحصائية الأمم المتحدة لسكان الولايات المتحدة عام ٢٠٢١، يبلغ عدد سكان شيكاغو ما يقارب (٨,٨٧٧,٠٠٠) مليون نسمة، تشتهر شيكاغو بأنها إحدى أكبر مدن العالم وإن لم تكن أكبرها، وأنها إحدى أكثر المدن احتضانا لجميع القوميات والأجناس في العالم. يشكل البيض أغلبية في شيكاغو إذ يمثلون ٤٥% ثم يأتي السود (٣٢,٩%) (Aljazeera.net, 2022).

أدت شيكاغو دورا مركزيا في التاريخ الاقتصادي والثقافي والسياسي الأمريكي. منذ خمسينيات القرن التاسع عشر، كانت شيكاغو واحدة من المدن الكبرى المهيمنة في الغرب الأوسط للولايات المتحدة، وكانت أكبر مدينة في الغرب الأوسط منذ تعداد (١٨٨٠). تعد شيكاغو اليوم مركزاً عالمياً مهماً اقتصادياً وتجارياً وصناعياً وعلمياً وفي مجالات النقل والسفر والسياحة والاتصالات، ولاسيما مع وجود مطار أوهير الدولي بها، والذي احتفظ طويلا ولعقود عديدة بلقب أكثر مطارات العالم ازدحاما. في العام (٢٠١٢) استقبلت شيكاغو (٤٦,٣٧) مليون سائح من داخل وخارج الولايات المتحدة محققة بذلك رقماً قياسياً لعدد السائحين الذين زاروا المدينة. تتميز المدينة بالتنوع الكبير في نشاطاتها وإسهاماتها في مختلف المجالات الأكاديمية والثقافية والموسيقية والفنية مثل المسرح والسينما والرواية وموسيقى الجاز والبلوز. سياسياً، تُعد شيكاغو معقلا للحزب الديمقراطي وكانت موطنا للعديد من السياسيين المؤثرين، بما في ذلك الرئيس الأسبق لأمريكا باراك أوباما (Chicago Metro Area Population, 2022)

تاريخيا، كانت مدينة شيكاغو بؤرة نشوء مدرسة شيكاغو. لقد نمت وتوسعت شيكاغو وتحولت من قصبة صغيرة لا أهمية لها في عام (١٨٤٠)، إلى مدينة بمساحة أكبر. ولكنها بين (١٨٥٠) و (١٨٩٠)، أي خلال أربعين عاماً، تحولت من مدينة صغيرة إلى مدينة مليونية ضخمة مساحةً وسكاناً، إذ أصبحت ثاني أكبر مدينة في الولايات المتحدة الأمريكية بعد مدينة نيويورك، وبحلول عام (١٩١٠)، تجاوز عدد سكانها مليوني نسمة، إذ بلغ (٢,١٨٥,١٨٣) نسمة، ثم استمرت هذه الزيادة بسبب الهجرة المتواصلة إليها، فبلغ العدد أكثر من ثلاثة ملايين (٣,٣٧٥,٣٢٩). كانت المدينة مركز استقطاب للمهاجرين في الولايات المتحدة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، اذ وصل المهاجرون الريفيون من وسط الغرب الامريكي بأعداد كبيرة، وعدد كبير من المهاجرين الأجانب أغلبهم من اوروبا، وفي مطلع القرن العشرين كان أكثر من نصف سكان شيكاغو قد ولدوا خارج امريكا (Bulmer, 1984, pp. 12-13). من عام (١٨٩٠) إلى عام (١٩١٤)، ازدادت الهجرات وجذبت إلى المدينة المهاجرين غير المَهَرة من الكاثوليك واليهود من جنوب وشرق أوروبا، ومنهم الألمان والإيطاليون واليونانيون والتشيك والبولنديون والليتوانيون والأوكرانيون والكرواتيون و المجريون والسلوفاك والأيرلنديون ومن البلدان الأسكندنافية. أما هجرة المكسيكيين فبدأت منذ (١٩١٠)، ولكن قطعت الحرب العالمية الأولى الهجرة من أوروبا إلى أمريكا بشكل عام وشيكاغو بشكل خاص، إذ بدأت هجرة مئات الآلاف من السود والبيض الجنوبيين إلى المدن الشمالية في أمريكا لسد النقص في العمالة. إن الأغلبية العظمى من السود الأميركيين ذوي الأصول الأفريقية انتقلت إلى شيكاغو خلال هذه الفترة لتعيش في المنطقة التي لقبت باسم "الحزام الأسود" جنوب المدينة. ليصبح الجانب الجنوبي من مدينة شيكاغو ثاني أكبر كثافة للأميركيين ذوي الأصول الأفريقية في الولايات المتحدة الأميركية بعد منطقة الهارلم في نيويورك. "لقد فرض قانون الهجرة لعام (١٩٢٤) قيودا على السكان من جنوب وشرق أوروبا، باستثناء اللاجئين بعد الحرب العالمية الثانية. وبهذا انتهى الدوران السنوي لهجرة السكان من الأعراق والأثنيات الأخرى، واستقرت هذه المجاميع العرقية والأثنية في أحياءٍ محددة في المدينة" (Melvin & Jones, 1995, p.14). لذلك يمكن القول بأنه مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين باتت مدينة شيكاغو بوتقة صراع واندماج وانصهار للأعراق و الأثنيات المختلفة من أوروبا. أصبحت المدينة مركزاً صناعياً وتجارياً هاماً وبورصة مزدهرة، وتطورت فيها الرأسمالية المتوحشة، وشهدت بناء ناطحات السحاب الامريكية الأولى، ونمت فيها حركة معمارية حديثة ستعرف فيما بعد باسم مدرسة شيكاغو (Bulmer, 1984). إن هذا التضخم السكاني المتزايد باستمرار أدى إلى نقص في المساكن ونقص في التنظيم في المصانع المزدهرة، وعانى سكان المدينة من التشرد ومن ظروف السكن والمعيشة والعمل السيئة ذات الأجور المنخفضة، وساعات العمل الطويلة والتلوث البيئي المفرط. هذه البيئة الحضرية والاجتماعية القاسية شجعت الباحثين في قسم الاجتماع، أساتذة وطلبة على دراسة المدينة في العديد من جوانبها، الحضرية منها والاجتماعية والتي ركزت على الانحراف والتشرد والجريمة كمشاكل اجتماعية وسلوكية يواجهها سكان شيكاغو وهي ناجمة عن التحولات السريعة في أسلوب الحياة الحضرية (Bulmer, 1984).

### ٢-٥ الفكر البراغماتي كإطار مرجعي نظري لرواد مدرسة شيكاغو

يقصد بالبراغماتية المذهب العملي أو فلسفة الذرائع أو العَمَلانِيَّة أو البراغماتية (Pragmatism)، وهو تقليد فلسفي بدأ في الولايات المتحدة حوالي عام ١٨٧٠. تُعد البراغماتية الكلمات والفكر كأدوات للتنبؤ وحل المشكلات والعمل، وترفض فكرة أن وظيفة الفكر هي وصف الواقع أو تمثيله أو عكسه. كان الفكر البراغماتي انعكاسا للحياة الأمريكية خلال

June 29, 2022 [Vol. 33(2)]
P-ISSN: 1680-8738; E-ISSN: 2663-547X

العقد السابع من القرن التاسع عشر، وذلك لما عرفته الحياة الامريكية من تحولات وإعلاء لقيمة الفرد ومصالحه إلى أقصى درجاتها، فهي تعبر عن نظام يحرك الرأسمال والمادة، وذلك بسبب التحولات الصناعية التي شهدتها الولايات المتحدة الامريكية في تلك الفترة، حيث تم رفع مستوى الفردانية على حساب العلاقات الاجتماعية والعاطفية، أو بمعنى أخر، العلاقات الثانوية على حساب العلاقات الأولية، ويعدّ النجاح العملي في الواقع الأمريكي انعكاسا لنظرية البراغماتية. كما كان للفكر الفلسفي البراغماتي السائد في أمريكا آنذاك تأثير واضح للعيان على توجهات وأهداف، بل ومناهج مدرسة شيكاغو، فلا أحد ينكر مدى مساهمة الفكر البراغماتي في التقعيد وتوحيد غايات وأهداف مدرسة شيكاغو. يمكن القول بأن علم الاجتماع قد تأثر بشكل خاص بالتيارات الفكرية التي قدمتها الفلسفة البراغماتية وعلم النفس الاجتماعي والتفاعلية الرمزية. ترجع المكانة الفكرية والفلسفية التي احتلتها البراغماتية كنظرية فلسفية وعملية بالأساس إلى الزخم المعرفي النظري والميداني الذي خلفته وراءها. بحيث ظهر إحساس لدى رواد الفكر البراغماتي بضرورة تجديد العقلانية التقليدية والتجريبية (Merico, 2020). طّور علم الاجتماع الأمريكي في مدرسة شيكاغو نظرياته وتقنيات أبحاثه في ضوء الاستجابة للقضايا الرئيسية للمجتمع الأمريكي كالعبودية والعنصرية وتنظيم العمل والتصنيع وآثاره الاجتماعية والأخلاقية، والعلاقات في مجتمع متزايد التعددية، والمشاكل الحضرية والاجتماعية، والفوضى، والسلوك المنحرف والإجرام ( Vidich & Lyman, 1985).

يؤكد أستاذ النظرية السوسيولوجية المعاصرة في جامعة تورونتو إيرك شنايدرهان، أن الفكر الفلسفي البراغماتي ترعرع في أحضان الولايات المتحدة الأمريكية، والذي يُعد بمثابة التعبير الحقيقي عن واقع الحياة الأمريكية وما كانت عليه في أواخر القرن التاسع عشر والعقدين الأولين من القرن العشرين. هذا الواقع أثر بدرجة عالية على الفكر السوسيولوجي السائد فيها آنذاك (Schneiderhan, 2011). الحقيقة أن الفلسفة البراغمانية تنطلق من أطروحة مفادها أن الأفعال الإنسانية تتضمن ثلاثة أبعاد أساسية، لا يمكن الفصل بينها وهي: البعد البيولوجي، البعد السيكولوجي، والبعد الأخلاقي، وإن الفرد أثناء قيامه بأي فعل من الأفعال يسعى إلى تحقيق غاية ما ويستشعر أثناء انجازفعله أحاسيس وانعكاسات مترابطة بالغاية المرجوة. ولعل هذه الروح البراغماتية هي التي ستشكل الإطار المرجعي النظري والمنهجي لعلم الاجتماع الحضري في أمريكا وتحديداً في مدرسة شيكاغو (خليفة، ٢٠١٨). في هذا الصدد، يقول Hart (2010) إن الفلسفة البراغماتية كمرجعية نظرية هي التي ستساعد في حل المشاكل الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والأخلاقية في المجتمع الأمريكي، لذلك فمعظم رواد الفلسفة البراغماتية رأوا وجوب التعامل مع المشاكل الاجتماعية سواء الحضرية أو غيرها بمناهج علمية ذات طابع واقعي وليس تأمليا خالصا. يبدو أن الفكر البراغماتي كفكر فلسفي ربط الفلسفة بالفعل، عبر الانخراط في حياة الناس اليومية وليس التأمل المجرد والخالص كما كان مع الفلسفة الألمانية المثالية على سبيل التمثيل، بل الفلسفة هي التي يجب أن تعيش في الواقع، هي التي تكون ذات تأثير واضح على الحياة المعيشية، ولعل هذا التوجه الميداني لهذه الفلسفة هو ما ستأخذ به مدرسة شيكاغو بشكل واضح، فالفيلسوف حسب البراغماتية هو ذاك الذي ينخرط في حياة مدينته، يعيش همومها ويهتم بأمور بيئته، وبالعمل الاجتماعي الذي يرمي إلى التغير، ويقول في ذلك "اندرو ريك": إن رواد مدرسة شيكاغو في مطلع القرن العشرين قد جعلوا من البراغماتية الفلسفة الاجتماعية للديمقراطية، وهكذا أصبحت البراغماتية أداة اجتماعية نشطة في حركة الإصلاح الاجتماعي، إذ إن إدراك الأفراد يتمثل من خلال فهم الأنشطة الاجتماعية المترابطة لأفعالهم وسيروراتها الاجتماعية.

### ٢-٦ تأسيس الجامعة وقسم الاجتماع في مدينة شيكاغو: النظرية والواقع ومبادئ الفكر البراغماتي

تأسست جامعة شيكاغو في عام ١٨٩٠، كجامعة بحثية على غرار جامعتي (جونز هوبكنز- ١٨٧٦) و(كلارك- ١٨٨٧)، وهي في الواقع جامعة خاصة تقع في ضاحية هايد بارك بمدينة شيكاغو، بمبادرة من جمعية التعليم المعمدانية الأمريكية، وبتمويل مبدئي من رجل ثري من كبار رجال الأعمال والصناعيين في الولايات المتحدة الأمريكية، هو جون دافيسون روكفلر (١٨٣٩-١٩٣٧)، من دون أن يفرض هذا أية سلطة عليها في تدابيرها مقابل ذلك. عُيّنَ المربي ويليام ريني هاربر(١٨٥٦-١٩٠٦) المختص باللغات الهندية الإيرانية والسامية كأول رئيس للجامعة التي جعلها مركزا مرموقا للدراسة والبحث. كان لهاربر دور رئيس في جعل الجامعة ذات سمعة وطنية وعالمية. افتتحت الجامعة عام ١٨٩٢)، وكان شعارها "دع المعرفة تنمو من المزيد إلى المزيد، وهكذا تثري حياة الأنسان". لقد صممت الجامعة لتكون شبيهة بأفضل الجامعات البريطانية كجامعتي أوكسفورد وكامبرج. صممها المهندس المعماري هنري إيفز كوب (١٨٥٩-١٩٣١)، بشكل يجعل الناس يشعرون بأهمية عظمة المكان. تبنت الجامعة نظام التعليم الجامعي البريطاني على مستوى الدراسات الأولية أو ما يسمى بالبكالوريوس وعلى نظام التعليم الألماني لمستوى الدراسات العليا. وينبغي القول إنّ عددا قليلا من أقسام علم الاجتماع في أمريكا والعالم أحدثت مثل هذا التأثير ولفترة طويلة مقارنة بكثير من التخصصات ومجالات البحث الميداني. تأسست جامعة شيكاغو كمؤسسة مختلطة على غرار الجامعات الألمانية المختصة بالأبحاث. وبحلول العقد الأول من القرن العشرين كانت نسبة الإناث تفوق الذكور في الجامعة (Hart, 2010, p.2)، أما فيما يخص قسم علم الاجتماع، ففي غضون سنوات قليلة هيمن هذا القسم أكاديميا على الأقسام الأخرى لعلم الاجتماع في الجامعات الأمريكية الاخرى. في البداية

June 29, 2022 [Vol. 33(2)]
P-ISSN: 1680-8738; E-ISSN: 2663-547X

كان توجه القسم توجها دينيا مسيحيا، وكان القسم يضم بعض الوزراء ضمن هيئة التدريس، وكان الدكتور ألبيون ودبري سمول (١٨٥٤- ١٩٢٦)، وهو مؤسس القسم ورئيسه لمدة ثلاثين عاما، بدأ سمول وبمعية الوزير وأستاذ علم الاجتماع جارلس ريجموند هندرسن (١٨٤٨-١٩١٥)، بالدمج بين علم الاجتماع والتوجه الديني المسيحي، وكانت بعض مناهج القسم التي تدّرَس خلال السنوات الأولى هي علم الاجتماع المسيحي وعلم الاجتماع التاريخي وعلم الاجتماع العملي وعلم الإجرام والجمعيات الخيرية والاشتراكية والإصلاح الاجتماعي وكان لألبيون سمول دور كبير في تنظيم البحوث السوسيولوجية وذلك بالتنسيق مع المدرسة الألمانية في السوسيولوجيا، فقد درس الفلسفة والاقتصاد سنوات عديدة في ألمانيا بجامعتي برلين ولايبزك. وبعد عودته إلى أمريكا أكمل الدكتوراه في التاريخ بجامعة جون هوبكنزعن أطروحته المعنونة "بدايات القومية الأمريكية". وفي السنين التي تلت ذلك ركزت الدراسات والأبحاث التي أجراها الباحثون في هذا القسم على الهجرة ومشاكل التكيف واندماج المهاجرين وروابط الجماعات العرقية المهاجرة ومشاكل التمايز والصراع بين المهاجرين وساكني المدينة الأصليين في شيكاغو. بهذا تأسست مدرسة علمية أكاديمية سميت فيما بعد بمدرسة شيكاغو (Ritzer & Goodman, 2004, p. 53).

بدأ بعض الأساتذة بالإسهام الجدي والعملي في استعمال وسائل عديدة لجمع المعلومات أمثال وليم إسحاق توماس (١٨٦٣- ١٩٤٧) الذي يُعد أول منظر في مدرسة شيكاغو ورائد من روادها الأوائل، وبعد إكمال دراسته في أمريكا، هاجر إلى ألمانيا ليدرس الأنثروبولوجيا في جامعتي برلين وكوتنكن، ليعود بعدها إلى شيكاغو. اشتهر وليم توماس بأفكاره المنفتحة تجاه المرأة والزنوج السود، واهتم كثيرا بالهجرة والبغاء، والأنثروبولوجيا والإثنولوجيا، وعلم النفس الاجتماعي، ودراسات العرق والإثنية، فقد كان يدرس مادة التنظيم الاجتماعي، النظريات السوسيولوجية، مشاكل العنصرية والمهاجرين. وبهذا فأن التوجه المسيحي البروتستانتي لأساتذة وباحثي القسم تلاشى ولم يدم طويلا، ولاسيّما بعد أن تطور القسم من قسم يضم علم الاجتماع والانثروبولوجيا سويةً، إلى قسم علم الاجتماع ( Cortese, 1995).

لقد كانت نتائج الدراسات التي يقوم بها أساتذة هذا القسم تنشر في مطابع الجامعة، وكذلك عبر المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع التي أسسها رئيس القسم الدكتور ألبيون ودبري سمول منذ سنة ١٨٩٥ والتي ما زالت تصدر حتى يومنا هذا. وقد ترأس ألبين سمول القسم حتى إحالته على التقاعد في عام ١٩٢٤، وكان متأثرا بالسوسيولوجية الألمانية التي كان يُدّرسها لطلبة القسم. وعُدّ كتابه التمهيدي "مدخل لدراسة المجتمع" الذي شارك في تأليفه عالم الاجتماع جورج إدغار فنسنت (١٨٦٤-١٩٤١)، مصدرا أساسيا للطلبة أكثر من عشرين عاما، وعلى نطاق واسع. أصبح سمول عميدا للكلية بعد استلام عالم الاجتماع الحضري روبرت عزرا بارك (١٨٦٤-١٩٤٤)، رئاسة القسم في ١٩٢٤. كان روبرت بارك قد حصل على الدكتوراه في الفلسفة تحت إشراف الفيلسوف البرغماتي جون ديوي (١٨٥٩-١٩٥٢)، في جامعة ميشيكان. عمل بارك لمدة إحدى عشرة سنة، مراسلا ميدانيا ومحققا صحفيا للعديد من الصحف الأمريكية في مدن عديدة قبل الالتحاق بالقسم، وبهذا العمل الصحفي اكتسب بارك خبرة ممتازة عن الميدان والواقع والملاحظة، كأدوات لجمع المعلومات والبيانات (Cortese, 1995).

التحق بارك بجامعة هارفارد لمدة سنة وبعدها انتقل إلى ألمانيا التي كانت حينذاك مركز العالم للمعرفة الفكرية والفلسفة. لقد تتلمذ على يد جورج زيمل في جامعة برلين في ١٩٠٠. فكانت محاضرات جورج زيميل هي الدراسة الأكاديمية الوحيدة التي تلقاها روبرت بارك في علم الاجتماع. ثم حصل على الدكتوراه الثانية تحت إشراف الفيلسوفين الألمانيين (ولهيلم ولدنباند والفريد هيتنر)، وكان عنوان أطروحته "الجمهور والإشهار" عام (١٩٠٤)، من جامعة هايدلبيرك الألمانية. لم يكن بارك مقتنعا كثيرا أو مفتخرا بأطروحته للدكتوراه هذه. إذ اهتم بارك بالموضوعات التي تتعلق بالحياة الحضرية في الوسط الحضري في مدينة شيكاغو. فاهتم بمشاكل السود والهجرة والجريمة والانحراف. كان عمرة يناهز التسعة وأربعين عاما حين التحق بجامعة شيكاغو عام (١٩١٣)، وذلك بطلب من وليام إسحاق توماس. إلا أن بارك كان له دور فعال في تشجيع طلاب القسم في النزول إلى الميدان لإدراك الصورة الحضرية في المدينة، والإشراف على أبحاثهم بشكل مستمر، ومنهم على سبيل المثال هوارد بيكر ورودريك مكنزي، وأصبح الشخصية الأكاديمية الأكثر فاعلية في جامعة شيكاغو. لقد أبدع روبرت بارك فيما سماها العمليات المركزية للحياة الاجتماعية في المدينة وهي بالنسبة له مفاهيم وعمليات أساسية، كالمنافسة، الصراع، التكيف، الاستيعاب (الانصهار) (Cortese, 1995).

لقد كان لالتحاق إرنست واتسن بيرجس (١٨٨٦-١٩٦٦)، بالقسم دور مهم في تطوير الدراسات الميدانية، مع اهتمامه بالبيئة الحضرية والجغرافيا، ومن ثم التحاق لويس ويرث في دراساته المشهود لها عن الجاليات المهاجرة، وإلسورث فارس بخلفيته النظرية القوية بعلم النفس الاجتماعي والأنثروبولوجيا على حد سواء من أعضاء هيئة التدريس في وقت مبكر. وتم لاحقا توسيع كلا الفرعين (علم الاجتماع والأنثروبولوجيا) في عام (١٩٢٥)، عندما تم تعيين عالم الأنثروبولوجيا واللغويات إدوارد سابير (١٨٨٤-١٩٣٩)، أستاذًا مشاركًا في علم الاجتماع. وذلك حين زادت المنافسة متعددة التخصصات في قسم كبير واحد بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا. تنافس قادة كلا التخصصين على موارد الجامعة. وكان وصول عالم الاجتماع الحضري وليم فيلدينك أوكبيرن (William Ogburn) (١٨٨٦ -١٩٥٩)، إلى رئاسة القسم في شيكاغو عام (١٩٢٧)، قد أدى إلى

June 29, 2022 [Vol. 33(2)]
P-ISSN: 1680-8738; E-ISSN: 2663-547X

الاهتمام والتركيز الأكثر على البحوث الكمية والتحليلات الإحصائية. جذبت الجامعة إليها كثيرا من الفلاسفة والباحثين من كل أنحاء العالم. كان للفيلسوفين جون دوي وجورج هربرت ميد (١٨٦٣-١٩٣١)، دور كبير في تأسيس قسم الفلسفة. ومن ثم كان لوليم إسحاق توماس (١٨٦٣- ١٩٤٧)، دور بارز في تطوير قسم علم الاجتماع، بإضافة حقل ومواد علم النفس الاجتماعي والدراسة الميدانية. أصبح القسم والجامعة يركزان على المدينة ومشكلاتها المحلية العديدة (Cortese, 1995). كان كثير من أعضاء هيئة التدريس في مدرسة شيكاغو من خريجي جامعة شيكاغو، وظل هذا الوضع مستمراً (أي التخرج من الجامعة بعد الحصول على الدكتوراه والتعيين فيها كتدريسي مباشرةً) مع "الجيل الثاني" من أعضاء هيئة التدريس الذي وصل في أواخر الثلاثينيات. إيفريت سي هيوز، (١٨٩٧-١٩٨٣)، الذي تتلمذ على يد بارك وبيرجس وإلسويرث فارس وحصل على الدكتوراه في ١٩٢٨ تحت إشراف روبرت بارك، واستمرارًا للتقاليد بدراسات متنوعة في مجالات متنوعة ضمن الوسط الحضري لمدينة شيكاغو، كما عمل هربرت بلومر و دبليو لويد وارنر كأعضاء هيئة تدريس مهمين. شكل الطلاب في الخمسينيات نواة ما يسمى ب "مدرسة شيكاغو الثانية" ، بما في ذلك هوارد بيكر وإرفينج كوفمان وأنسيلم شتراوس وكاري فاين وآخرين ( Lutters & Ackerman, 1996, p. 2).

### ٢-٧ مدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع والدراسات الحضرية

يؤكد أستاذ علم الاجتماع البريطاني في جامعة سري مارتن بولمرفي مقدمة كتابه الذائع السيط والمعنون "مدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع: التأسيس، التنوع والبحث الاجتماعي"، أن لفظة مدرسة شيكاغو تشير إلى جملة البحوث النظرية والميدانية التي قام بها رواد هذه المدرسة مع طلبتهم في قسم علم الاجتماع بجامعة شيكاغو التي تأسست عام (١٨٩٢). يجدر الإشارة بأنه خلال الفترة من (١٩١٥ حتى (١٩٣٥)، أصبح هذا القسم من أشهر الأقسام الأكاديمية ليس على مستوى الجامعة فحسب، بل على مستوى كل جامعات الولايات المتحدة الأمريكية، ولا سيما في علم الاجتماع الحضري. إذ استطاعت الجامعة من خلال هذه المدرسة، أن تفرض هيمنتها على الساحة الأكاديمية، وتتبوأ صدارة المشهد العلمي في امريكا، وذلك على الرغم من وجود عدة مراكز جامعية أخرى هامة، تعمل هي الأخرى على تطوير علم الاجتماع في البلاد، مثل جامعة يَل (وليام سامنر)، وجامعة ويسكنسن (إدوارد روس)، وجامعة ميشيكان (جارلس كولي)، وجامعة كولومبيا (فرانكلين جيدينغر). ويطلق بعضهم على هذه الفترة من (١٩١٥) حتى (١٩٣٥) بفترة مدرسة شيكاغو الاولى. ارتبط اسم مدرسة شيكاغو كما ذكرنا آنفاً بالمدينة نفسها ودراسة ساكنيها دراسة ميدانية. ومن أهم رواد هذه المدرسة: وليام إسحاق توماس وروبرت عزرا بارك وإرنست واتسن بيرجس (١٨٨٦-١٩٦٦)، ولويس ويرث (١٨٩٧-١٩٥٢) وتلامذتهم في العقدين الأولين من القرن العشرين. حاول هؤلاء ربط النظرية بالميدان أو الواقع وفقاً لبرنامج دقيق ومنظم ومدروس. أي أن هؤلاء الباحثين حولوا علم الاجتماع من حالة التأمل والكتابة المجردة إلى الميدان والواقع اليومي المعاش (Bulmer, 1984). لكن ينبغي الإشارة إلى أن ما كتبه الرواد الأوائل وطلابهم في هذه المدرسة من دراسات وأبحاث في سوسيولوجيا المدينة، قد ساهمت إلى حد كبير في تأسيس الدراسات الحضرية ومن ثمّ علم الاجتماع الحضري. ومن المواضيع التي بحثوا فيها ورسخت لمدة طويلة لتشمل دراسات المجتمع المحلي في المدينة، الهجرة والعنصرية وعدم المساواة، الهوية والتكيف والمشاركة السياسية، الترفيه التجاري، السياسة الأمريكية تجاه السود، الإقصاء، التطرف المجتمعي، الدين، وتصورات البيض عن السود، المشاكل الاجتماعية، التقاليد، الثقافات الفرعية، التخطيط الحضري، إضفاء الطابع المؤسسي للمدينة، الإصلاح الاجتماعي والحراك الاجتماعي. وأهم من أنجزوا هذه الدراسات والأبحاث هم، روبرت عزرا بارك، ألبيون دبليو سمول، جورج إدغار فنسنت، تشارلز هورتون كولي (١٨٦٤-١٩٢٩)، جورج هربرت ميد، رودريك د. ماكنزي (١٨٨٥-١٩٤٠)، إدوين هـ .سذرلاند (١٨٨٣-١٩٥٠)، إلسورث فارس (١٨٧٤-١٩٥٣)، تشارلز إدوارد ميريام (١٨٧٤- ١٩٥٣)، بول ج. كريسي (١٩٠١-١٩٥٥)، كليفورد شو(١٨٩٥-١٩٥٧)، فلوريان زنانيسكي (١٨٨٢-١٩٥٨)، ويليام أوغبيرن (١٨٨٦- ١٩٥٩)، إدوارد فرانكلين فريزر(١٨٩٤-١٩٦٢)، هارفي وارن زوربا (١٨٩٦-١٩٦٥)، إرنست واتسن بيرجيس (١٨٨٦-١٩٦٦)، فريدريك إم ثراشر(١٨٩٢-١٩٧٠)، دوروثي سوين توماس (١٨٩٩-١٩٧٧)، صامويل سي كينشيلو (١٨٩٠-١٩٨١) إيفريت شيرينجتون هيوز (١٨٩٧-١٩٨٣)، هوميروس هويت (١٨٩٥-١٩٨٤)، هربرت بلومر (١٩٩٠-١٩٨٦)، ونيلس أندرسن (١٨٨٩–١٩٨٦). والتر سي. ريكليس (١٨٩٨-١٩٨٨)، فيفيان إم بالمر، لويس ويرث، وليم توماس، روث شونلي كافان (١٨٩٦-١٩٩٣)، وهارولد فوت جوسنيل (١٨٩٧-١٩٩٧) (Hart, 2010, p. 1).

يمكن تقسيم مراحل نمو وتطور ومن ثم أفول وانحدار مدرسة شيكاغو إلى ثلاثة مراحل من خلال ثلاثة أجيال من أعضاء الهيئة التدريسية. شمل الجيل الأول كل من ألبيون سمول (مؤسس ورئيس القسم)، وليم إسحاق توماس، تشارلز آر هندرسون، جراهام تايلور، وجورج إي فينسينت. أما الجيل الثاني فشمل كل من ألبيون سمول ووليم توماس وإرنست بيرجس وإلسورث فارس وروبرت عزرا بارك. كانت هذه المجموعة من الأساتذة هي التي دَرّبَت طلاب الدراسات العليا المسؤولين عن الدراسات الكلاسيكية لمدرسة شيكاغو. أما الجيل الثالث فقد ضم كل من بارك وبيرجس ولويس ويرث وويليام أوكبيرن. بقيت هذه المجموعة من أعضاء هيئة التدريس على حالها حتى تقاعد بارك من الجامعة في عام (١٩٣٤). في حين أنه من الشائع تحديد

June 29, 2022 [Vol. 33(2)]
P-ISSN: 1680-8738; E-ISSN: 2663-547X

تاريخ أصل علم الاجتماع الحضري في شيكاغو مع وصول بارك في عام (١٩١٤)، وعمله اللاحق مع بيرجس، فإن فكرة المدينة كمختبر للبحوث الاجتماعية جاءت قبل ذلك بكثير. تقدم هندرسون بطلب للحصول على معونة مالية لإجراء دراسة منهجية للمدينة في العقد الأول من القرن العشرين، وبدأ توماس بحثه عن الفلاح البولندي في أوروبا والولايات المتحدة في عام (١٩٠٨) ( Lutters & Ackerman, 1996).

لقد سيطرت مدرسة شيكاغو على علم الاجتماع وعلم الاجتماع الحضري بشكل عام في النصف الأول من القرن العشرين، وبحلول عام (١٩٥٠)، بلغ عدد من أكملوا دراستهم العليا في شيكاغو (٢٠٠) طالباً وطالبة . كان للعديد منهم دور فعال في إنشاء برامج الدراسات العليا في علم الاجتماع في جميع أنحاء البلاد، وكان أكثر من نصف رؤساء الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع من أعضاء هيئة التدريس أو من الطلاب اللذين أكملوا دراساتهم العليا في شيكاغو. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فأن المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع، التي أسسها إلبيون سمول في عام (١٨٩٥)، أصبحت الجهة الرسمية لجمعية علم الاجتماع الأمريكية من عام (١٩٠٦) إلى عام (١٩٣٥)، والتي بحد ذاتها كانت العامل الرئيس في هيمنة مدرسة شيكاغو على الصرح الأكاديمي الأمريكي. هذه الهيمنة بحدِ ذاتها وَلّدَت نوعاً من (الكراهية والعداء) وصيغة من (التمرد المخفي) من قبل علماء الاجتماع الآخرين من الجامعات الشمالية في أمريكا، وحدث ذلك في المؤتمر السنوي عام (١٩٣٥)، الذي أدى إلى تأسيس مجلة جديدة، سُميت بـ ( The American Sociological Review)، ومَثّل هذا تراجعا ملحوظاً لتأثير قسم علم الاجتماع بشكل عام وعلم الاجتماع الحضري بشكل خاص في جامعة شيكاغو (Hart, 2010).

### ٢-٨ المرتكزات والاتجاهات النظرية التي اعتمدتها مدرسة شيكاغو في علم الاجتماع الحضري

نظريا وفكرياً، يمكن القول بأن علم الاجتماع في شيكاغو ارتكز على ثلاثة اتجاهات نظرية، وهي: المثالية الألمانية، الوضعية الأنجلو-فرنسية، والبنائية الوظيفية التي تبنتها الأنثروبولوجيا البريطانية والتي كانت سائدة في قسم الأنثروبولوجيا بمدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة لندن، ولا سيما تأثير الأنثروبولوجست البولوني بالولادة والبريطاني بالتجنس برونسلاف مالينوفسكي (١٨٨٤-١٩٤٢). كان جميع أعضاء قسم علم الاجتماع في جامعة شيكاغو من الهيئة التدريسية في هذه الفترة ذوي دراية بهذه الاتجاهات الفكرية السائدة في أوروبا، مع الأخذ بالحسبان ما من شأنه أن "يتناسب" مع الإطار العملي الميداني وفهمهم الخاص للواقع الاقتصادي والإثني والاجتماعي الجديد لمدينة شيكاغو. يمكن فهم جوهر نظرة أساطين هذا القسم للرؤية الكونية من خلال أعمالهم الأولية، ويتضح ذلك جلياً في العمل المشترك لروبرت بارك وإرنست بيرجس عام (١٩٢١)، بعنوان "مقدمة لعلم علم الاجتماع"، والذي كان يعدّ في حينه بمثابة إنجيل علم الاجتماع لطلبة مدرسة شيكاغو وأقسام علم الاجتماع الأخرى في الجامعات الأمريكية فيما بعد (Cortese, 1995).

هكذا كانت الأفكار التجريبية لمالينوفسكي قابلة للتطبيق على الواقع الأمريكي، ولكن هذا المنهج كان بحاجة لدعم فلسفي صلب، وبذلك وجد أعضاء مدرسة شيكاغو أنه من الضروري أن يتبنوا المبدأ الفلسفي البراغماتي وهذا ما طبقه كل من روبرت بارك ووليم توماس في دعمهما وتبنيهما براغماتية وليم جيمس وجون ديوي (Hart, 2010). وفيما يخص تأثر رواد هذه المدرسة بالفكر البرغماتي، فقد اعتمدت مدرسة شيكاغو، كما وضح خليفة (٢٠١٨)، على أربعة مبادئ أساسية في الفكر البرغماتي وهي: أولاً، الواقعية غير الموجودة في العالم الحقيقي، ولكن "يتم إنشاؤها وفقاً لنشاطنا نحن تجاه العالم المحيط." ثانياً، يتذكر الناس ويبنون معارفهم حول العالم على ما هو مفيد لهم ومن المرجح أن يغيروا ما لم يعد يعمل أو يفيد. ثالثًا، يحدد الأشخاص المؤثرات الاجتماعية والبدنية التي يواجهونها في العالم وفقًا لاستعمالهم لها. وأخيراً، إذا أردنا أن نفهم الجهات الفاعلة، يجب أن نبني هذا الفهم على ما يفعله الناس حقيقةً. إن ثلاثة من هذه الأفكار كانت حاسمة في توجّه الفكر البراغماتي للتفاعلية الرمزية التي تبناها جورج هربرت ميد وتلامذته في مدرسة شيكاغو بعد الثلاثينيات من القرن الماضي، وذلك بالتركيز على ما يأتي :أولاً، الفعل والتفاعل بين الإنسان والعالم، ثانياً، النظر إلي كل من الإنسان والعالم علي أنهم عمليات ديناميكية وليسوا هياكل ثابتة، وثالثاً، قدرة الإنسان على تفسير العالم الاجتماعي. يمكن القول بأن كل من الفلسفة البراغماتية وعلم الاجتماع الحضري في مدرسة شيكاغو تربطهما علاقة قوية، علاقة مكانية أولاً لكونهما ظهرا في بيئة المجتمع الامريكي ومدنه، وعلاقة معرفية ومنهجية ثانيا، لكونهما يهدفان معا إلى محاولة فهم الحياة الأمريكية من خلال معظم جوانبها باستعمال أدوات منهجية أكثر واقعية وميدانية.

### ٢-٩ أهم الدراسات الميدانية التي أجريت في مدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع وإتجاهاتها المنهجية

تُعد الدراسة المعنونة "الفلاح البولوني في أوروبا و أمريكا"، من أهم الدراسات الميدانية في السوسيولوجيا الامريكية لمدرسة شيكاغو في حينها، والتي كان لها دور بارز في رفع الصرح الأكاديمي للقسم، كانت الدراسة التي أجراها كل من وليام إسحاق توماس والفيلسوف البولوني الذي تحول اهتمامه فيما بعد إلى علم الاجتماع بتأثير من وليام توماس وهو فلوريان زانيسكي (١٨٨٢-١٩٥٨). طبعت هذه الدراسة في كتاب مؤلف من خمسة أجزاء ما بين (١٩١٨-١٩٢٠)، وضع المؤلفان فيها أسس سوسيولوجيا المدينة ودراسة كل ما في مدينة شيكاغو من جاليات وفقاً للمنهج الإثنوغرافي الذي تبنياه في دراستهما هذه، آخذين بالحسبان شروط الدراسة الميدانية التي وضعها برونسلاف مالينوفسكي. كان وليام توماس يهتم في تلك الفترة تحديدا بنمط حياة الجاليات المهاجرة في شيكاغو. وقد حصل على

June 29, 2022 [Vol. 33(2)]
P-ISSN: 1680-8738; E-ISSN: 2663-547X

اعتمادات مالية من مؤسسة خاصة للشروع ببحثه حول مصير المهاجرين البولونيين. إذ حصل الباحثان على بيانات ميدانية بالغة الأهمية وتعميمات سوسيولوجية مهمة، منها استعمال وسيلة الملاحظة بالمشاركة، الصلة الذاتية والمراسلات الشخصية للمهاجرين بأقاربهم وعلاقاتهم بهم في بولونيا. فالمبحوث هو المركز الأساس في الدراسة والتحليل، وهذا ما يسمى بدراسة الحالة وتحليل المضمون. لقد ساق وليم توماس مفهومين مركزيين وهما: "تحديد الوضعية" وهي الطريقة التي يفهم بها المبحوث وضعه الاجتماعي، والمفهوم الثاني هو مفهوم "اختلال التنظيم الاجتماعي" (Social Disorganization)، الذي يعني كيفية استيعاب المهاجر قيم وقواعد الحياة الاجتماعية الجديدة اعتمادا على ذاكرته الاجتماعية التي اكتسبها من أسرته وجماعته الأولية السابقة. حاول كل من توماس وزنيانسكي في دراستهما عن الفلاح البولوني، أن يحللا شبكة العلاقات الاجتماعية بين المهاجرين الجدد في شيكاغو وصيرورة تكيفهم مع القيم والمعايير وقواعد الحياة الجديدة، وكان الهدف من ذلك هو فهم التفاعلات الاجتماعية للمهاجرين في فضاء الحياة الحصرية بحثا عن نظام جديد يستوعبهم. وكان الباحثان يعللان أسباب السلوك غير السوي والجرائم إلى الاختلال في التنظيم الاجتماعي (Wallace & Wolf, 2006).

أما الدراسة الميدانية المهمة الثانية، فهي إنجاز التقرير الضخم لما كان يسمى بـ"لجنة شيكاغو عن العلاقات بين الأعراق"، وطبع هذا التقرير في كتاب بعنوان "السود في شيكاغو" عام ١٩٢٢: دراسة في علاقات الأعراق والشغب العرقي، وقام بإنجاز هذه الدراسة إلى حدٍ كبير عالم الاجتماع من أصل أفريقي جارلس جونسن (١٨٩٣-١٩٥٦)، والذي يعد من علماء الاجتماع الأوائل من السود الذين درسوا في شيكاغو، وتاريخيا، أصبح جارلس جونسن أول رئيس أسود لجامعة فيسك، وهي جامعة خاصة بالسود. وكان إنجاز هذه الدراسة بتشجيع وإشراف روبرت بارك. كان بارك يهتم كثيرا بالموضوعات التي تتعلق بالبيئة الحضرية مثل وضع السود، الهجرة، الجريمة وانحراف الشباب. كان تأثير بارك كبيراً من خلال تشجيعه للطلبة والإشراف على دراساتهم وفي عام (١٩٢٣) (Cortese, 1995, p. 241) بدأت دار النشر في جامعة شيكاغو بطبع سلسلة من الدراسات والأبحاث الرائعة التي كانت أغلبها بالأساس أطاريح دكتوراه، ومنها طبع دراسة نيلز أندرسون المعنونة، "هوبو: المهاجر المترحل: دراسة في علم اجتماع الرجل المشرد" ففي عام (١٩٢٧)، تم طبع دراسة كل من أرنست مورر بعنوان "الاختلال العائلي"، وفريدرك ثريشر بعنوان "العصابة"، وفي عام (١٩٢٨)، تم طبع كتاب الباحثة روث شونل كافان بعنوان "الانتحار" وكتاب لويس ويرث بعنوان "حي اليهود: كيتو". وطبع كتاب الباحث هارفي زوربا بعنوان "ساحل الذهب والمناطق المتهرئة" عام (١٩٢٩)، وكتاب فرانكلين فريزر بعنوان "عائلة السود في شيكاغو" عام (١٩٣١). أما كتاب بول كريسي بعنوان "تكسي- قاعة الرقص" فقد طبع في عام (١٩٣٢)، وكتاب ولتر ريكلس بعنوان "رذيلة في شيكاغو" عام (١٩٣٣)، وكتاب نورمان هينر بعنوان "حياة الفندق" الذي طبع في عام (١٩٣٦). أغلب هذه الدراسات كانت بالأساس أطاريح دكتوراه في أثنوغرافية المدينة، القائمة على وسيلة الملاحظة بالمشاركة (Savage, Warde & Ward, 2003, p. 11).

في هذه الفترة تحديداً كان للقسم وما يقوم به من أبحاث ودراسات تأثير أكبر من أي عمل آخر، وكان يتم كل ذلك بتوجيه أو إشراف روبرت بارك. فالبحث السوسيولوجي بالنسبة لبارك يجب أن يكون دقيقا و مفصلا بالاعتماد على الملاحظة بالمشاركة، بينما كان التوجه مختلفا بالنسبة لويليم توماس وفلوريان زنانسكي، فقد كانا يؤكدان بأن علم الاجتماع يجب أن يتبنى الاستقراء ويطوره لبناء الفرضيات ودراسة الشروط الممكنة لغرض التحقق منها (Hart, 2010).

كان هدف الرواد الأوائل في هذه المدرسة هو إنتاج معرفة مفيدة يستعين بها أصحاب القرار في بناء سياسات للمراقبة الاجتماعية والإصلاح داخل مدينة شيكاغو. إذ كان تركيز اهتمامهم على وصف وتحليل وفهم التحولات الاجتماعية الكبيرة التي رافقت النمو الكبير الذي عرفته المدن الأمريكية، وخاصة مدينة شيكاغو. وبهذا درسوا عدة مؤسسات اجتماعية مثل عوائل المهاجرين ووصفوا مونوغرافيا أحيائهم، كما قدموا تحليلات حول الجرائم المنتشرة في الوسط الحضري. أما فيما يخص الاتجاهات الرئيسة التي تطورت في هذه المدرسة، فهي ثلاثة اتجاهات رئيسة، وليس اتجاهين كما يذهب أنثوني جيدنز في هذا الصدد. و الاتجاهات الثلاثة هي:

**الاتجاه الأول:** هو النهج الإيكولوجي أو البيئي الذي يدرس توطين المجموعات السكانية المهاجرة والمتباينة في أعراقها و إثنياتها في المدن وتفاعلها بعضها مع بعض. يتمثل هذا الاتجاه بنظرية روبرت بارك التي تربط المبادئ البيئية بالدراسات الاجتماعية. وبذلك صاغ كل من روبرت بارك وتلميذه الذي أصبح زميله فيما بعد، عالم الاجتماع الحضري إرنست واتسن بيرجس، مصطلح "الإيكولوجيا الاجتماعية". صياغة بيرجس للمبادئ البيئية في نموذج المنطقة المركزية للمدينة، وكان التركيز على البيئة الإيكولوجية والإيكولوجية البشرية التي تشير للبيئة البشرية التي تدرس العلاقة بين المجتمع البشري وبيئته. عدّ بارك علم البيئة منهجا مناسبا لدراسة المدينة، حيث يتم توزيع البشر في المدينة وحصرهم داخلها. وهكذا فإن المدينة، حسب بارك، هي المكونة لـ "المجتمعات البيئية" التي تميزت بعملية غير واعية، يتم من خلالها انخراط البشر في صراع "حيوي" من أجل الوجود. أدى هذا إلى تكيف

June 29, 2022 [Vol. 33(2)]
P-ISSN: 1680-8738; E-ISSN: 2663-547X

وظيفي بين أنفسهم وبيئتهم. يمكن دراسة هذه العمليات من خلال مفهوم البيئة البشرية. ويشير بعض الباحثين إلى أن الايكولوجيا البشرية التي تبناها روبرت بارك جاءت من آراء الايكولوجيا النباتية والحتمية البايولوجية فضلاً عن الداروينية الاجتماعية (Mitchell, 1979).

**الاتجاه الثاني:** هو النهج العملي والنظري للدراسات الحضرية، والذي يمثل هذا الاتجاه كل من وليام إسحاق توماس وفلوريان زنانيسكي، فيشمل الدراسات الإثنوغرافية، باستعمال التقنيات الأنثروبولوجية، القائمة على وسيلة الملاحظة بالمشاركة، ويدرس سلوك أعضاء الجماعة. هذا النهج له ثلاثة موضوعات أساسية: العلاقات والصلات بين الأفراد والجماعات المهاجرة من الريف إلى المدينة، وتحولاتهم الاجتماعية في المدينة الحديثة، والإصلاحات التي تعالج المشاكل الناتجة عن هذا التحول، مما يعني أن الشاغل الرئيس لهذا النهج هو دراسة المشكلات الاجتماعية مثل الاندماج أو الاغتراب المترسب عن تجربة التحديث الناتج عن التصنيع، وظهور المدن الكبرى مع بعض. هذه القوى المتكاملة وبمرور الزمن غيرت الحدود الاجتماعية القائمة (Giddens, 1989).

**الاتجاه الثالث:** هو النهج الثقافي الاجتماعي الذي يتمثل بأبحاث لويس ويرت عن الحضرية كأسلوب للحياة وعن حي اليهود في شيكاغو. أهتم روّاد هذا الاتجاه في مدرسة شيكاغو بدراسة الحياة الحضرية في الثلاثينيات والاربعينيات من القرن الماضي ولاسيّما لويس ويرث، وقد شكلوا امتداداً للاتجاه الوضعي في الدراسات الحضرية. كان لأبحاث عالم الأنثروبولوجيا روبرت ريدفيلد (١٨٩٧-١٩٥٨)، دور كبير في نمو ونشوء هذا الاتجاه، ويعدّ عمله الإثنوغرافي في تيبوزتلان بالمكسيك علامة بارزة في إثنوغرافيا أمريكا اللاتينية. ارتبط ريدفيلد بجامعة شيكاغو طوال حياته المهنية، فقد انضم إلى هيئة التدريس في عام ١٩٢٧ وظل هناك حتى وفاته في عام (١٩٥٨)، وشغل منصب عميد العلوم الاجتماعية للفترة (١٩٣٤-١٩٤٦). إذ كتب عن المتصل الريفي (الشعبي)- الحضري. هكذا فقد هيمن قسم علم الاجتماع في شيكاغو على الصرح الثقافي الأكاديمي في الولايات المتحدة الأمريكية للفترة بين (١٩١٥) حتى (١٩٤٠) (Cortese, 1995). وقد أضاف Levine (1971) أما بعد الأربعينيات من القرن الماضي ومع حلول الحرب العالمية الثانية أصيبت المدرسة والقسم بالأفول فهبط الصرح العلمي الناصع لقسم الاجتماع في جامعة شيكاغو العريقة.

### ٢-١٠ مدرسة شيكاغو من ١٩٤٥ ولغاية ٢٠٢٠: نقاش وتقييم، مآخذ وانتقادات

يمكن القول بأن مرحلة ما بعد أربعينيات القرن الماضي بالنسبة لمدرسة شيكاغو في الدراسات الحضرية تمثل مرحلة الأفول والانحدار، ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية، فمنذ منتصف أربعينيات القرن العشرين لم يستمر هذا القسم ممثلاً بمدرسة شيكاغو الثانية بهذا التقليد الذي نشأ وترعرع عليه. بسبب تغير نمط الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية اليومية في اواسط العقد الرابع من القرن العشرين وما بعدها حين تبنى أعضائه تيار التفاعلية الرمزية والسلوك البشري من منظور علم النفس الاجتماعي ونرى ذلك بوضوح عند هربرت بلومر وتلامذته. يؤكد عالم الاجتماع البريطاني مارتن بولمر أن الأعمال النظرية والتجريبية لمدرسة شيكاغو "الأولى" الممتدة من (١٩١٠) إلى (١٩٤٠)، أصبحت مصادر منسية إلى حد كبير لدى كثير من علماء الاجتماع المعاصرين وعلماء النفس وعلماء الجريمة وصناع السياسات والممارسين في مهن التعليم والخدمة الاجتماعية وطرق العمل الميداني الإثنوغرافي، الملاحظة بالمشاركة، تاريخ الحياة، المستندات الشخصية (رسائل أو يوميات)، إحصاءات السكان، الخرائط، أسعار العقارات، و قائمة الموضوعات التي بحثوا فيها ورسخت لمدة طويلة لتشمل، علم الاجتماع الحضري، ودراسات المجتمع المحلي في المدينة، الهجرة والعنصرية وعدم المساواة والهوية والتكيف والمشاركة السياسية، الترفيه التجاري، السياسة الأمريكية تجاه السود، الإقصاء، التطرف المجتمعي، الدين، وتصورات البيض عن السود، المشاكل الاجتماعية، التقاليد، الثقافات الفرعية، التخطيط الحضري، الإصلاح الاجتماعي، الحراك الاجتماعي وغيرها كثير. يؤكد مارتن بولمر أن علم الاجتماع الحضري بعد الحرب العالمية الثانية قد حل الجدل المنهجي في مدرسة شيكاغو بطرق عديدة، بين ما يسمى بدراسة الحالة وطريقة المسح الاجتماعي مفضلاً الأخيرة (Bulmer, 1984). أدّى بروز عالم الاجتماع تالكوت بارسونز في جامعة هارفارد وتأكيده لنظريته في بناء الفعل الاجتماعي و بحثه في "طبيعة النظام الاجتماعي" دورا كبيراً في نشوء الاتجاه الجديد في علم الاجتماع الأمريكي. كان بارسونز لا يعترف بالتفاعلية الرمزية التي تبناها هربرت بلومر (Savage, Warde & Ward, 2003). لقد انتقد سي رايت ميلز مدرسة شيكاغو ودراساتها حين وصفها بأنها دراسات وصفية إثنوغرافية لمجاميع المهاجرين، وجادل ميلز بأن هذه الدراسات مرفوضة، لأنها تفتقر إلى التجريد والتنظير المنهجي، لكن الأهم من ذلك كله، هو أنها تفتقر إلى الإدراك بالطبقة الاجتماعية الرأسمالية وبنيتها في إطار ماركسي. وأكد سي

June 29, 2022 [Vol. 33(2)]
P-ISSN: 1680-8738; E-ISSN: 2663-547X

رايت ميلز أن مفاهيم الطبقة والصراع الطبقي والانقسامات الطبقية غائبة تماماً عن دراسات مدرسة شيكاغو في علم الأجتماع. ويشير ميلز إلى دراسة زوربا عن "الساحل الذهبي والأحياء الفقيرة" ، كما يوحي الاسم ذاته، وهي عبارة عن دراسة الفوارق الجسيمة بين الأغنياء والفقراء بينما دراسة أندرسون عن "المتشرد"، التي تصف طريقة حياة العامل المأجور الذي أُجبر على أن يكون متجولًا في البحث عن عمل. ينبغي الإشارة إلى أن أغلب دراسات مدرسة شيكاغو هي دراسات وصفية لا تعتمد على الجدل أو المحاججة أو التفسير. تبنت هذه الدراسات، المنهج الاستقرائي وليس المنهج الاستنباطي (Hart, 2010). ولكن بدءاً من نهاية أربعينيات القرن العشرين، شهدت مدرسة شيكاغو انخفاضا في تحليل التحضر ودراسة المدينة، وتحديداً بعد الحرب العالمية الثانية، إذ أصبح علم الاجتماع الحضري شيئًا فشيئاً يعاني من الركود الفكري ومن ثمّ فقدت المدرسة تأثيرها بشكل كبير في دراسة ظاهرة التحضر و الحضرية كأسلوب للحياة في المدينة، وذلك لعدة أسباب منها، زيادة تدخل الدولة بعد الحرب العالمية الثانية، وتحول النفقات الاجتماعية في المدن وتغيير الهياكل الاجتماعية والمادية، ومشكلات التضامن الاجتماعي ومشاكل الفوضى والتهميش في الستينيات من القرن الماضي، وما ترتب عليها من تناقضات وصراعات ناتجة عن التمييز العنصري. ظهرت على الساحة في دراسات التحضر والحضرية. ففي الخمسينيات والستينيات برزت أقسام علم الاجتماع في جامعات أخرى مثل جامعة هارفارد ويل وكولومبيا، وفي الستينيات من القرن الماضي بدأت السياسة تدخل المدينة من خلال الحركات الطلابية في أوروبا والتي شملت أمريكا في حركة السود ودعواتهم للمساواة والحقوق المدنية. أما السبعينات فطرأ على مدينة شيكاغو اتجاه نحو الحد من التصنيع (Deindustrialization). يمكن القول بأن المدينة في إطار الرأسمالية الحديثة في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي أصبحت عبارة عن علاقات اقتصادية و اجتماعية متغيرة وديناميكية وفقاً للربح. بصيغة أكثر وضوحا، لقد تغير منظور علماء الاجتماع اللاحقين عن المدينة، وخصوصا علماء الاجتماع الذين تبنوا النهج الماركسي في دراساتهم للمدينة وتحضرها. كان رأي علماء الاجتماع المنتمين للماركسية الجديدة بأن علم الاجتماع الحضري يحتاج إلى تجميع أفضل عناصر الاقتصاد السياسي للرأسمالية مع المزيد من التحليلات الثقافية للحداثة، وإعادة تنظيم حقل علم الاجتماع، وكذلك إلقاء الضوء على تعددية الخبرة الحضرية (Savage, Warde & Ward, 2003).

**٣-الخاتمة و الاستنتاجات**

توصلت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات كما موضح أدناه:-

- إنه على الرغم من أن كثيرا من تقاليد علم الاجتماع الحضري في مدرسة شيكاغو والحقول الفرعية التي ترسخت فيها، كانت ولا تزال مهمة، وستظل تشكل قلب هذا التخصص، إلا أن هذا لا يعني وجوب تطبيق مناهج وأساليب الدراسات التي أجريت تحت راية مدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع الحضري لمدن اليوم، وذلك لعدم ملاءمتها لواقع الحياة الحضرية للمدن الصناعية اليوم، وذلك بسبب التحولات الجذرية على جميع الأصعدة، الاقتصادية منها والاجتماعية والسياسية والثقافية، فضلا عن تقنيات الاتصال الحديثة التي غيرت وجه العالم من خلال مايسمى اليوم بالعولمة، هذا إلى جانب التغيرات التي طرأت على الجوانب الهندسية والمورفولوجية لمدن اليوم. وينطبق هذا طبعا، حتى على مدينة شيكاغو نفسها. وضواحي المدن على سبيل التمثيل لا الحصر، خير دليل على ذلك، فقد أصبحت الضواحي الغنية المترامية الأطراف في مدينة شيكاغو، معقدة بشكل متزايد منذ سبعينيات القرن الماضي. وكان لتوسع هذه الضواحي المترامية الأطراف دور مميز في ترسب كثير من ظواهر التردي والتفسخ الاجتماعي في مركز مدينة شيكاغو، إذ إن الطبقة الغنية والمرفهة تميل بطبيعتها إلى الابتعاد عن مركز المدينة، حتى وإن كانت أعمالها فيها، وتفضل هذه الطبقة الإقامة في إحياء سكنية متجانسة في الضواحي خارج المدينة، وبذلك يتزايد التآكل والتهرؤ في مركز المدينة وتتفاقم المشكلات الاجتماعية والاقتصادية فيها وهذا ما أهملته مدرسة شيكاغو أو ما لم تشهده المدرسة حينئذٍ، بينما كان الرواد الأوائل أمثال إميل دوركهايم وماكس فيبر وكارل ماركس وجورج زيمل يعتقدون بأن المدينة كانت بيئة كبرى، أثّرت عليها القوى الاجتماعية للرأسمالية تأثيرا كبيرا في جميع جوانب الحياة البشرية.
- تجنبت مدرسة شيكاغو دراسة الرأسمالية في حد ذاتها، ولم تربط العوامل الاقتصادية والسياسية بالحياة الحضرية، مفضلة بدلاً من ذلك، الطريقة القائمة على أساس بيولوجي لتصور الحياة وخاصة في تبني الاتجاه البيئي - الإيكولوجي. لذلك نرى أن روبرت بارك قد جادل بأنه مع مرور الوقت، انتقلت مجموعات مختلفة في فترات الصراع عبر مراحل السكن، نحو الاستيعاب الثقافي. وتزامن هذا مع العملية الاجتماعية والمكانية، ومن ثمّ فقد المهاجرون تميّزهم كما أصبحوا أكثر ثراءً ومع انتقالهم إلى الضواحي، أصبحوا أيضًا أكثر ثراءً اجتماعيا وسياسيا. قد يكون التنوع العرقي والديني هو المظهر الأكثر وضوحا، ولكن هناك أيضًا اختلافات ملحوظة في المؤشرات الأخرى، بما في ذلك الطبقة الاجتماعية والإسكان والحيازة، وملامح العمر، والتحصيل العلمي وأنماط التنقل.
- ارتبطت المناطق الداخلية بالهجرة الأخيرة إلى شيكاغو، والصراع القوي والتنافس بين مختلف مجموعات المهاجرين للسيطرة على الفضاء الحضري والوصول إلى الموارد الحضرية. من أبرز الانتقادات التي توجه إلى مدرسة شيكاغو هي الطريقة التي تم تعميمها من خلال

التجربة على مدينة شيكاغو في أوائل القرن العشرين، ولم يقم الباحثون في شيكاغو بدراسة المدن الأمريكية الكبرى التي تعد شبيهة بشيكاغو أو حتى أكبر منها في المساحة والسكان كمدينة واشنطن أو لوس أنجلوس.

- لقد أهمل رواد هذه المدرسة ومنهم روبرت بارك الأساسيات الديناميكية في الأنظمة الحضرية كنوع من المنافسة البيئية على الأرض والموارد بين مختلف المجموعات، وتجاهل أهمية العمل وأسواق الإسكان ودور الدولة في إنتاج التفاوتات الحضرية.
- تم انتقاد نهج مدرسة شيكاغو أيضًا لاستعماله التبسيط في انعدام التمييز الثنائي بين مجموعات المهاجرين والمجتمع الأصلي أو ساكني المدينة الأصليين، والتغيرات الثقافية المرتبطة به مع الضواحي. بينما لم تكن هذه التحركات مرتبطة بالتبسيط في نموذج عملية "الاستيعاب" المقترح في نماذج مدرسة شيكاغو.
- ارتبطت الضواحي الغنية والمترامية الأطراف ببعض تدابير العلمنة والرسملة المفرطة. يبدو أن المنهج المستعمل بشكل عام في دراسات و أبحاث مدرسة شيكاغو هو المنهج الكيفي وليس الكمي. ركزت مدرسة شيكاغو وخصوصا في دراسة وليم توماس وفلوريان زينانسكي على الفلاح البولوني على ما أسموه باختلال التنظيم الاجتماعي (Social Disorganization)، وكأنّ هذا الاختلال هو سبب ونتيجة في الوقت نفسه لواقع مدينة شيكاغو المتمثل في نمو وازدياد نسب الجريمة في ذلك الوقت. لذلك يمكن القول بوجوب توخي الحذر عند تطبيق منهج هذه المدرسة على مدن أخرى، سواءً في مدن أمريكا أو خارجها. فالعقدين الماضيين من قرننا الحالي و ما ترسب فيهما من مشاكل ومعضلات تختلف جذريا عما كانت عليه في أوائل القرن الماضي وحتى أواخر خمسينياته، تؤكد لنا كباحثين استحالة تطبيق منهج مدرسة شيكاغو حاليا.

## المصادر العربية

حسن، ع. م. (١٩٨٢). *أصول البحث الاجتماعي* (ط ـ ٨). القاهرة: دار التضامن للطباعة.

خليفة، م. إ. (٢٠١٨). الفلسفة البراغماتية وعلم الاجتماع الحضري: نموذج مدرسة شيكاغو. *مجلة العلوم الاجتماعية* – المركز الديمقراطي العربي، (٧)، ١٢٥-١٣٤. متاح عبر الرابط https://democraticac.de/wp-content/uploads/2018/12/%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%A8%D8%B9-%D9%83%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84-%D8%AF%D9%8A%D8%B3%D9%85%D8%A8%D8%B1-2018.pdf

## Translated Arabic References

Hasan, A.M. (1982). *The origins of social research* (8th Edition). Cairo: Al-Tadamon House for Printing.

Khalifa, M.I. (2018). Pragmatic philosophy and urban sociology: The Chicago school model. *Journal of Social Sciences*- Arab Democratic Center, (7), 125-134. Retrieved from https://democraticac.de/wp-content/uploads/2018/12/%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%A8%D8%B9-%D9%83%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84-%D8%AF%D9%8A%D8%B3%D9%85%D8%A8%D8%B1-2018.pdf

## Foreign References

Aljazeera.net. (2022).Chicago. Retrieved from https://www.aljazeera.net/encyclopedia/citiesandregions/2015/11/1/%D8%B4%D9%8A%D9%83%D8%A7%D8%BA%D9%88. (2021). World population prospects. Chicago.

Merico, M. (2020). The Chicago school of sociology and youth research: The legacy of W.I. Thomas from the Polish peasant in Europe and America to the child in America. *Italian Sociological Review*, 10(2S), 397-408. Retrieved from http://dx.doi.org/10.13136/isr.v10i2S.353

Mills, C. W. (1959). *The sociological imagination*. Oxford: Oxford University Press.

Mitchell, G. D. (1979). *A new dictionary of sociology*. London: Rutledge and Kegan Paul.

Ritzer, G. & Goodman, J. D. (2004). *Modern sociological theory* (6th Edition). Boston: The McGraw-Hill Company.

Savage, M., Warde, A., & Ward, K. (2003). Cities and Uneven Economic Development. In *Urban sociology, capitalism and modernity*. *Sociology for a changing world*. Retrieved from https://doi.org/10.1007/978-1-137-07810-0_3

Schneiderhan, E. (2011). Pragmatism and empirical sociology: The case of Jane Addams and Hull-House, 1889–1895. *Theory and Society*, *40*(589), 589-617. DOI: https://doi.org/10.1007/s11186-011-9156-2

Vidich, A. J. & Lyman, S. M. (1985). *American sociology: Worldly rejections of religion and their directions*. New Haven: Yale University Press.

Wallace, R. A. & Wolf, A. (2006). *Contemporary sociological theory: Expanding the classical tradition* (6th Edition). New Jersey: Prentice Hall.

Bulmer, M. (1984). *The Chicago school of sociology: Institutionalization, diversity and the rise of social research*. Chicago: The University of Chicago Press.

Chicago Metro Area Population. (2022). "1950-2022 Macro Trends". Retrieved from https://www.macrotrends.net/cities/22956/chicago/population

Cortese, A. J. (1995). The rise, hegemony, and decline of the Chicago school of sociology, 1892-l945. *The Social Science Journal*, *32*(3), 235-254.

Giddens, A. (1971). *Capitalism and modern social theory: An analysis of the writings of Marx, Durkheim and Max Weber*. Cambridge: Cambridge University Press.

Giddens, A. (1989). *Sociology*. Cambridge: Polity Press.

Hart, Ch. (2010). *Legacy of the Chicago school: A collection of essays in honour of the Chicago school of sociology during the first half of the 20th Century*. Cheshire: Midrash. Retrieved from file:///C:/Users/Rana/Downloads/PagesfromLegacyoftheChicagoSchoolExtractscopy.pdf

Klein, M. (2007). *The genesis of industrial America: 1870-1920* (1st Edition). Cambridge: Cambridge Essential Histories.

Levine, D. N., (1971). *Georg Simmel on individuality and social forms*. Chicago: University of Chicago Press.

Lutters, W. G. & Ackerman, M. S. (1996). *An introduction to the Chicago school of sociology*. Retrieved from https://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.80.7034&rep=rep1&type=pdf

Melvin G. H. & Jones, P. (Eds.) (1995). *Ethnic Chicago: A multicultural portrait* (4th Edition). Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company.